

تعدد أوجه الإعراب في التركيب القرآني وأثره البلاغي –مقاربة توصيفية–

*Multiple aspects of syntax in quranic structure rhetorical
a descriptive approach*

أ.د. محمد زهار*

جامعة المسيلة (الجزائر)

mohammed.zehar@univ-msila.dz

المخلص	معلومات المقال
ملخص: اجمع علماء اللغة القدماء والمحدثين وحتى المعاصرين أن للخطاب القرآني والجملة القرآنية على وجه الخصوص نمط وتركيب متميزين ينضوي تحتهما العديد من الأسرار، وتتحدد فيه مختلف أشكال، وصور الإعجاز، وذلك من خلال ممارستهم المتأصلة لنصوص اللغة العربية، كما أن للجملة القرآنية خصوصيات دلالية تتفرد بها، وخصائص فنية تؤهلها عن باقي التراكيب اللغوية التي ينجزها البشر. وكان توجيه النحاة الإعراب في العديد من النصوص القرآنية التي تحتمل أكثر من وجه إعرابي جانبا مهما في إثراء علوم اللغة نحوا، وتفسيرا، وبلاغة ويحاول هذا المقال الكشف عن مواطن الإعجاز في تعدد أوجه الإعراب في النصوص القرآنية، الذي يقوم على التشابه التركيبي، ودقة المعاني، مع تسجيل موقف الدارسين من التراث النحوي، والبلاغي منه.	تاريخ الارسال: 2022/11/21
	تاريخ القبول: 2022/12/23
	الكلمات المفتاحية: ✓ النص: ✓ الإعراب: ✓ التعدد: ✓ أوجه: ✓ البلاغة: ✓ التركيب: ✓ القرآن:
Abstract :	Article info
<i>Ancient, modern, and even contemporary linguists unanimously agreed that the Qur'anic discourse and the Qur'anic sentence in particular have</i>	Received 21/11/2022 Accepted

a distinct pattern and structure that underlie many mysteries, and in which various forms and images of miraculousness are determined, through their inherent practice of the texts of the Arabic language. The Qur'anic sentence has semantic characteristics that are unique to it, and technical characteristics that qualify it for the rest of the linguistic structures that humans accomplish. This article reveals the places of miracles in the multiplicity of syntactic aspects in the Qur'anic texts, which is based on syntactic similarity, and the accuracy of meanings, while recording the students' position on the grammatical and rhetorical heritage of it.

Keywords:

- ✓ Syntax:
- ✓ plurality:
- ✓ facets:
- ✓ rhetoric:
- ✓ composition:
- ✓ the Qur'an:

01. مقدمة:

أجمع علماء اللغة القدماء والمحدثين وحتى المعاصرين على أن ظاهرة الإعراب في التراث العربي من أهم الخصائص التي تفردت بها لغة القرآن عن سائر اللغات البشرية، يقول ابن خلدون موضّحاً قدر العربية عن غيرها: "... فاللسان العربي إنما يدل عليه -أي الإعراب - بأحوال، وكفيات في تراكيب الألفاظ وتأليفها من تقديم وتأخير، أو حذف، أو حركة إعراب، وقد يدل عليها بالحروف غير المستقلة، ولذلك تتفاوت طبقات الكلام في اللسان العربي بحسب تفاوت الدلالة على تلك التكييفات... وكان الكلام العربي لذلك أوجز وأقل ألفاظاً وعبارة من جميع الألسن.(ابن خلدون، 1978، الصفحات 555-556)

كما تسجل اهتمام النحويين ، بالقراءات القرآنية للعلاقة بين علم النحو، ومعاني الخطاب القرآني، والجملة القرآنية على وجه الخصوص، فكانت جهودهم العلمية تقوم على الكشف عن قيمة ظاهرة الإعراب وبيان المشكلات الدلالية التي تواجه العديد من نصوصه، ويعدّ نقط المصحف وضبطه من الأعمال الجليلة التي يشهد لها التراث وذلك خدمة للقرآن وصيانتها من اللحن مع الاعتماد على كل القرائن اللغوية وغير اللغوية التي توصل القارئ إلى الدلالة الدقيقة لمعاني الخطاب.(أبو بكر، 2006، صفحة 16) ويصادفنا في هذا السياق رأي لابن قتيبة يوضح فيه قيمة الحركة الإعرابية في توجيه الدلالة، يقول :

".....واللفظان لا يفرق بينهما إذا تساوت حالهما في إمكان الفعل أن يكون لكل واحد منهما إلا الإعراب، فلو قاتلا قال: هذا قاتل أخي بالتنوين، وقال الآخر: أنا قاتل أخي بالإضافة لدلّ التنوين على أنه لم يقتله، وب حذف التنوين على أنّه قتله."(ابن قتيبة و السيد أحمد صقر، 1973، صفحة 28)

ويقوم استدلال صلة ظاهرة الإعراب بالمعنى على مبدئين: أولهما يتصل بالقراءة القرآنية التي قرئ بها المصحف الشريف، فقد يكون لكل قراءة وجه في العربية، ومعنى في الآية، وثانيهما أن جلّ التراكيب اللغوية، والنحوية على الخصوص لا يمكن أن يتّضح معناها إلا بالإعراب.(ابن رشد، 2001، صفحة 219) من هنا يكون توجيه الآية من اجتهاد النحاة أنفسهم حيث لا تظهر العلامات الإعرابية، منها على سبيل المثال الأسماء المبنية، والمصادر، والأسماء المقصورة، ومواقع الجمل وغيرها من الحالات، وقد تتعدد الوظائف النحوية للحالة الإعرابية كأن يكون مثلاً بعد الرفع عدة وظائف نحوية تحتل عدة تخرجات كالابتداء، والخبرية، أو الفاعلية، أو البدلية، منها مثلاً تداخل دلالة الحال مع البدلية.

كما في قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنزِلُ السَّحَابَ الثِّقَالَ﴾ الرعد: 12، فقد أورد الزمخشري في الكشف وجهين متداخلين لا يخرجان عن المعنى العام، أن يكون النصب على الحالية، والتقدير خائفين، وطامعين، وقد يكون النصب على المفعولية، والتقدير إرادة خوف وطمع أي لأجل الخوف والطمع(عادل أحمد، 1997، صفحة 450) أو

قوله تعالى: ﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ البقرة: 133

وقد يكون النصب على البدلية من (إلهك) أو أن يكون حالا من (إلهك) وقد استحسنته ابن عطية والقرطبي لما فيه من بيان حال الإله، وإثبات الوجدانية له (القصيبي، 2014، صفحة 238).

إن تعدد أوجه الإعراب في النص القرآني لا يرتبط كما أسلفنا الضرورة بالتعدد الدلالي، فقد يؤدي تعدد الأوجه للفظ الواحدة في الترتيب إلى التعدد في الدلالة، كما لا يمكن أن يترتب عليه أيتعدد، وإن وقع ذلك، فهو من باب التوسع الدلالي لا غير (روابحية، 2007، صفحة 331)، ففي اللغة العربية عدد غير محدود من العلامات قد تتوزع على مختلف الوظائف النحوية. فقد تشترك أكثر من وظيفة نحوية في علامة واحدة ففي قوله تعالى مثلاً (ألم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للناس) فقد أجاز الفراء رفع (هدى) من أوجه ثلاثة:

- أحدهما: خبر لمبتدأ (ذلك). ورفع الكتاب على التبعية، وجملة (لا ريب) اعتراضية.

- ثانيهما: أن ترفع (هدى) على الاستئناف إذ الكلام تام، ومنه يحسن السكوت على (لا ريب فيه) والابتداء ب(هدى).

- ثالثهما: أن تكون (هدى) مرفوعة على التبعية لجملة (لا ريب فيه)، وهي في محل رفع خبر المبتدأ (ذلك). وأشار إلى هذا التخرج الزجاجي (310هـ) فقال: (هدى) مرفوعة بعدها خبر تقديره، هذا (ذلك الكتاب هدى) فيكون المعنى الجمع بين الكتاب الذي وعدوا به، وبين (هدى) كما في قولك: (هذا حلو حامض) (عبد الجليل عبده، 1988، صفحة 33)، وذهب الأخفش أن (هدى) مرفوعة بالظرف، والنصب على الحال من (ذا)، أو من (الكتاب) أو من الضمير من (فيه) فإن كان على الحالية فمن (ذا) أو من (الكتاب) فالعامل فيه معنى الإشارة أو إن جعلته حالا من الضمير فالعامل فيه معنى العفل المقدر. وهو استقر. (ابن الأنباري، الصفحات 45-46)، ولقد تجاوز الزمخشري معاني الإعراب مشيراً إلى مظاهر النظم البياني في الآية القرآنية فقال: "....والذي هو أرسخ عرفاً في البلاغة أن يضرب عن المقال صفحا، وأن يقال: (ألم برأسها، أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها، و(ذلك الكتاب) جملة ثانية، و(لا ريب فيه) جملة ثالثة، و(هدى للمتقين) رابعة، وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق، وذلك لمجيئها متأخية أخذا بعضها بعنق بعض، فالثانية متحدة بالأولى معتنقة بها، والثانية مع الثالثة، والرابعة حتى قال: ثم لم تخل كل واحدة من الأربع بعد أن رتبت هذا الترتيب الأنيق، ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الأولى الحذف، والرمز إلى الغرض بالطف وجه، وأرشقه، وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة، وفي الثالثة ما فيه من تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو (هدى) موضع الوصف الذي هو هاد، وإيراده منكر، والإيجاز في ذكر المتقدمين". (مصطفى حسين، 1987، صفحة 21)

هذه الاجتهادات التي دوتها الدارسون لا يترتب عليها تغيير في دلالة القراءة العام (محمد حسين، 2006، صفحة 126)، إنما هو القدرة على الإبلاغ، وامتزاجه بالجوانب الفنية للتركيب اللغوية، لقولهم: كل من أفهمك حاجته فهو بليغ. وإلى ذلك أشار المشتغلون في حقل الدراسات الأسلوبية والبلاغية نذكر منهم، عبد اللطيف خطاب، في دراسته الموسومة بمعجم القراءات، الصادر بدمشق، 2001، وتعدد أوجه الإعراب، لعبد اللطيف حماسة و، تعدد التوجيه النحوي عند ابن حجر العسقلاني، لتيسير محمود بغداددي، 2005، وتعدد التوجيه النحوي في كتاب الحجة لأبي عليّ الفارسي لهدي حسن نجيب 2006، وتعدد التوجيه النحوي في كتاب البحر المحيط لماهر عبده سلامة، 2009، وغيرها من النماذج التي تجفل بها كتب التفسير، ومصنفات إعراب القرآن.

إن للتركيب اللغوية في القرآن نمطا وتركيبا متميزين ينضوي تحتهما العديد من الأسرار، وتتحدد فيه مختلف أشكال، وصور الإعجاز، وذلك من خلال ممارسة المتخصصين المتأصلة لنصوص اللغة العربية كما أن للجمل القرآنية خصوصيات دلالية تتفرد بها، وخصائص فنية تؤهلها عن باقي التركيب اللغوية التي ينجزها البشر، وقد انتهج النحاة، والمفسرون في ذلك طرائق ومناهج مختلفة للكشف عن السر في الجملة القرآنية، والخطاب القرآني عموم.(المفتي، 1985، صفحة 260) ويجمع أهل النظر على أن أسرار الجملة القرآنية تكمن أولا في بلاغة أسلوبها، التي فاقت كل البلاغات اللغوية، لأنها امتزجت فيها الغاية الفنية التخيلية بالغاية التواصلية. وثانيا في معانيها التي تتميز بها الجملة من حيث معجمها اللغوي، واقتصادها اللغوي فتركيبها تركيب حجاجي بامتياز، فهي ليست مجرد أحداث كلامية، ولأنها وظفت بمعاني ودلالات متعددة، وليست أيضا مجرد إبلاغ رسالة لسانية وليست استعمال أسلوب يدور حول تضمن الكلام لخصائص تمييزية، فإذا نظرنا مثلا إلى نظامها فهو متماسك ترابط فيه مختلف المكونات اللفظية، والدلالية هذه السمات التركيبية، والأسلوبية هيئتها على أن تكون نصا حجاجيا مبدؤه الحوار المقنع موطن الإعجاز، مما يسمح للدارس الولوج في ثنايا النص لكشف جوانبه التأثيرية، وإيضاح معانيه المقصودة.

هكذا اكتسب التركيب حجيته من خلال مبدأ الحوارية الذي تتجاوز فيه الذوات، فنصوصه كثيرا ما تحكي ذلك الحوار السردى الاستفهامي في أقوال الكافرين والرد عليه، مع كون الجملة القرآنية أيضا تركز على تغيير الوضع الذهني الذي يترتب عنه تغيير في الوضع المادي ونصوص الخطاب القرآني فهي تتمثل هذه التقنيات الحوارية لأغراض إقناعية، كخوار سيدنا إبراهيم مع الله، زمع النمرود وخوار موسى مع الخضر، وحوار أهل النار مع الله، وحوار الرجل الصالح مع صاحب الجنة، وهكذا..

إن الحديث عن حجية الجملة القرآنية أيضا إنما هو الحديث عن المعجم اللغوي الخاص الذي يتمثل في مجموع الألفاظ والكلمات التي يوظفها الخطاب القرآني على حدّ تعبير عبد الله صولة (صولة، 2001، صفحة 41) (بودوخة، 2015، الصفحات 49-50). فمجموع الكلمات والألفاظ المشكلة للجملة في القرآن الكريم لا تعدو أن تكون كلمات تندرج ضمن نظام اللغة العربية كما سنّها فقهاء وعلماء اللغة، فهي لا تزال تستعمل حسب ورودها في المعجم، لكن بزول القرآن وضع هذا المعجم في شبكة مفهومية جديدة شكلت نظامه اللغوي الخاص منها ألفاظ العقيدة والفقه-الصلاة-الزكاة-والسيرة(خلف الله، صفحة 24)(العزاوي، 2006، صفحة 16). وغيرها

وزعم أهل النظر أن التركيب القرآني اكتسبت حجّيته من فصاحة، وجزالة لغته في ذاتها، ويسرد لنا محمد عبد اللطيف حماسة نصا للخطابي يؤكد فيه صحة هذا الزعم بقوله:

".....إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر فقام به مبينة القرآن غيره من الكلام، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضربا من المعرفة لا يمكن تحديده، وأحالوا على سائر أجناس الكلام الذي يقع منه التفاضل فتقع في نفوس العلماء به عند سماعه معرفة ذلك، ويتميّز في أفهامهم قبيل الفاضل من المفضول.(محمد حماسة، 2008، صفحة 187)(محمد حماسة، صفحة 121)

وقد تخفى حجية الجملة القرآنية في الخطاب إلا أن أثرها يوقع في النفس عذوبة، وفي السمع هشاشة دون أن نقف من ذلك على علّة(عراي، 2009، صفحة 124). فنظم التركيب القرآني على تصرف وجوهه، وتباين مذاهبه خارج عن المعهود من نظام جميع كلام العرب، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، فله أسلوب يختص به، ويتميز في تصرفه عن أساليب الكلام المعتاد(تمام، 1994، صفحة 194).

كما تجمع الدراسات اللسانية المعاصرة على أن الجملة القرآنية هي في حقيقتها نصوص مكتوبة إلا أنها نفتقر إلى عنصرين هامين في نظرهم، أقصد محمد حماسة نوجزهما(محمد حماسة، فتنة النص، 2008، صفحة 176) في ما يلي:

إن التراكيب القرآنية المكتوبة تحتاج طبعا إلى علامات غير لغوية تسهم في الكشف عن المعاني والدلالات التي يتضمنها التركيب اللغوي، والخطاب القرآني خاصة، وقد تفتقد الجمل القرآنية إلى بعض هذه الخصائص الصوتية الملازمة للأداء، والانجاز الفعلي للغة كالنبر، والتنغيم، والإمالة، والضغط على بعض الكلمات، فتلك الخصائص جميعها تقوم بدور مهم، وفَعَال في تحديد بلاغة التركيب وتكشف عن ما تحمله من جوانب فنية وأسلوبية، وفي ثنايا الخصائص يصادفنا نصا لابن جني (النجار، 1374، صفحة 370) يشير فيه إلى هذه المزية، أو اللمسة البيانية قائلا:

"وقد حذفت الصفة ودلت الحال عليها." وقد حكي ذلك عن سيبويه حين قال:

«...سِرّ عليّة ليل" وهم يريدون: التطويل" وكأنّ هذا إنما حذفت فيه الصفة لما دلّ من الحال على موضعها، وذلك من التطويح والتطريح، والتفخيم، والتعظيم، ما يقوم مقام قوله: طويل، أو نحو ذلك. وأنت تحس هذا من نفسك إذا تأملتة وذلك أن تكون في مدح إنسان والثناء عليه فتقول: " كان والله رجلا" فتزيد في قوة اللفظ، ب"الله" هذه الكلمة، وتتمكن في تمطيط اللام وإطالة الصوت بها، وعليها، أي تريد رجلا فاضلا، أو شجاعا، أو كريما، أو نحو ذلك (بن عيسى، صفحة 37).

وكذلك تقول: "سألناه فوجدناه إنسانا" وتمكّن الصوت بإنسان، وتفخمه فتستغني بذلك عن وصفه بقولك: إنسانا سمحا أو جوادا أو نحو ذلك، وكذلك إذا ذمته، ووصفته بالضيق قلت:

"سألناه فوجدناه إنسانا" فتزوي وجهك وتقطبه، فيغني ذلك عن قولك: إنسانا لثيما. أو لحزا، أو مبيّلا أو نحو ذلك. (عبد السلام، صفحة 148)

ومع هذا الإجماع على بلاغة النصوص القرآنية، إلا أننا نصادف في ثنايا كتب التراث النحوي اختلافات بين النحاة في توجيه الكثير من الجمل القرآنية استغلها الدارسون المتأخرون موجهين بعض الانتقادات على هذا الاختلاف، فتعدّد الأوجه الإعرابية لا يقلل من قيمة الإعراب، إلا أن النحاة كانوا يحاولون جاهدين بتوجيهاتهم أن يقدموا العديد من الاحتمالات للغة القرآن، التي تفتقر إلى ملابسات الحال أو الموقف اللغوي في حال التلّفظ والنطق، فتعدّد الأوجه الإعرابية في هذه الحال لا يمكن أن يعدّ دليلا على عدم أهمية الإعراب، أو على الترخّص في العلامة الإعرابية إلا أنه تفسير للغة المكتوبة، مع إسباغ مواقف الحال الملائمة لكل مقام أو وجه من الوجوه، فتعدّد أوجه الإعراب بهذا الفهم إنما هو في الحقيقة صورة، أو ضرب من ضروب إعجاز القرآن، وهو دليل على ثراء نصه، وخصوبة عطائه، فيتمثّل فيه التماسك، والانسجام، والتوافق على مستوى اللفظ والمعنى، وعلى مستوى الصورة والإيقاع أيضا. (بهلول، 2013، صفحة 8)

وبشير النحاة أنه في كثير من هذه الأوجه الإعرابية المختلفة يعودون ويهدون بقراءة أخرى في موضع آخر بحجة أن القراءة لا تخالف لأنها من سنة المصطفى، مع العلم أن القراء لا يقرأون بكل ما يجوز في العربية.

لقد اكتسب تعدد أوجه الإعراب للجمل القرآنية أسرار بلاغتها من فقدانها لعنصري ملابسة الحال، والتنغيم، مما فتح باب الاجتهاد أمام النحويين على وجه الخصوص للنظر في اللغة نظرة دقيقة أسهمت في بيان مواطن النظم في تراكيبها، واستكشاف ما فيها من إعجاز بلاغي. فمثلا قد يتفق البلاغيون على أن هناك حذفًا في تركيب لغوي إلا أنهم يختلفون في تحديد موطن الحذف، ولا المحذوف، وبذلك تتعدّد أوجه الإعراب بسبب اختلافهم في تقديرهم للمحذوف ففي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ البقرة: 220، حيث تقرأ (إخوانكم) بالرفع والنصب، فمنهم من قرأها بالرفع على أنها خبر لمبتدأ محذوف (تقديره (هم إخوانكم)، وقرئت بالنصب على أنها مفعول به لفعل محذوف يريد (إخوانكم تخالطون). يقول الفراء ولو نصبت:

"...ولو نصبتة كان صوابا، وعلى النصب مثله، ﴿أذعوههم لإبائهم هو أفسط عند الله فإن لم تعلموا آباءهم فإخوانكم في الدين ومواليكم وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله عفورا رحيمًا﴾ [الأحزاب: 5.

ولو نصبت ههنا على إضمار فعل ادعوهم إخوانكم ومواليكم. وفي قراءة عبد الله ﴿إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبْدُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. المائدة 118.

وفي قراءة (فإنهم عبادك) نقول: إن جواز الرفع والنصب أت من تقدير المحذوف فإن قدرت ضميرا فالرفع على الخبر، وإن قدرت فعلا فإن القرينة، المذكورة مفعول به. والمعنى هنا لا بد أن يتغير بتغير التقدير، إلا أن الاختلاف دقيق في غاية الدقة، فإن كان الرفع فالمعنى أن هذا الشيء مستقر، وثابت، تقره الجملة الاسمية، وإن كان على النصب، فالمعنى لا بأس من استحداث هذه السنة مع إخوانكم.

ومنها قوله تعالى أيضا ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَوَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الأعراف 164

فقد شاع الرفع بين القراء كابن كثير، وأبو عمرو بن العلاء، وحمزة، والكسائي، وقرأ حفص عن عاصم معذرة بالنصب. يقول الفراء أثناء تعرضه للآية: وأكثر العرب أن ينصبوا المعذرة، وأثرت القراء رفعها، ونصبها جائز. فمن رفع قال هي على قوله: ﴿لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ﴾ الأحقاف: 35 وذلك بالرفع، ولقد ذهب ابن حالويه ووجه قراءة الرفع والنصب في الآية الكريمة بقوله: "...إن الحجة لمن قرأ بالرفع أنه أراد أحد وجهين من العربية، أما أن يكون أراد، قالوا: (معضتنا إياهم معذرة)، فتكون خبرا لمبتدأ محذوف، أو يضم قبل ذلك ما يرفعه، منها قوله تعالى ﴿سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا﴾ النور: 1، يريد (هذه سورة)، والحجة لمن نصب أن الكلام جواب كأن قيل لهم: تعضون قوما هذه سبيلهم.؟ قالوا: نعضهم اعتذارا ومعذرة. (ابو حيان، صفحة 410)

والمتمصفح في ثنايا مصنفاتهم يصادف العديد من هذه التخريجات التي يحاولون من خلالها رسم موقف لغوي وبلاغي يبدو فيه تخريجهم مؤديا دورا صحيحا يحمل من البيان والإعجاز ما لا يرفضه القارئ، ونص أبي حيان النحوي يوضح ذلك مبينا ما يدل عليه رفع معذرة في الآية ونصبها قال:

"...وقرأ الجمهور معذرة بالرفع، أي معذرتنا إقامة عذر لله، ولئلا ننسب في النبي عن المنكر إلى بعض التفريط، ولطمعنا في أن يتقوا المعاصي، وقرأ زيد بن علي، وعاصم، وعيسى بن عمر (معذرة) بالنصب أي (وعضناهم معذرة) (مكرم، صفحة 141)، والنصب هنا على رأيه يفيد تعليل الموعظة، بينما يرجح العكبري النصب على المفعولية، أي عضنا للمعذرة وقيل هو مصدر أي نعتذر معذرة. فهو إذا مفعول مطلق يؤكد الاعتذار. (العكبري، ، صفحة 287)

وقد استغل النحويون طبيعة الجملة القرآنية ذات الشكل المكتوب فقداها الخصائص الصوتية كغممة الوقف والابتداء، كما هو في مصنف ابن الأنباري (328 هـ) الوقف والابتداء (مأمون، 1983، صفحة 123)، أو بعض الأدوات كالاستفهام والتعجب، وحاولوا تبين ما يحمله التركيب من معاني، ودلالات منها قوله تعالى (غير المغضوب عليهم) فقد أجاز النحاة (غير) العديد من الأوجه منها:

الجر على البدلية من الضمير في (عليهم)، أو (الذين)، أو على الوصف من (الذين) لأن المعنى لا يقصد أشخاص بعينهم ويوضح جار الله الزمخشري نظم هذه الآية على أنها تتجاوز الإعراب، والوظائف التركيبية إلى معاني أخرى حيث جاءت متناسقة من غير حرف النسق، وذلك لأنها متآخية آخذا بعضها ببعض، فالكلمة الأولى متعاقبة مع الثانية، وهكذا الثالثة مع الرابعة حيث أشار الله تعالى إلى أن الكتاب موسوم بالكمال، ثم نفى عنه صفة الشك، والريب، ثم أخبر بأنه هدى للمتقين لا يشوبه شك، وبعد أن رتبت هذه الوحدات اللغوية ترتيبا محكما، ففي الأولى حذف، ورمز، وفي الثانية دلالة التعريف على التفتيح، وفي الثالثة تقديم الريب على الظرف، وفي الرابعة وضع المصدر موضع الوصف.

إن الزمخشري كما يشير حماسة حاول أن يرتب المعنى على اعتبارات تقسيم الآية إلى جمل تحمل دلالات، ومعاني أخرى، رغم غياب علامات الإعراب على بعض الكلمات. (محمد حماسة، 2008، صفحة 183)

و الخلاصة أن هناك ارتباطا بين الوجه الإعرابي، والدلالة، فالنحوي بطبيعته كان يتلقى الجملة القرآنية حسب قراءة ما، ثم يقوم باستنباط الحكم الذي جاءت عليه الكلمات، وهو ما اصطلح بالوظائف النحوية. أو الوجه الذي من أجله أخذت الكلمة حكما إعرابيا محددًا مستأنسا بتعليل ما، فتعددت بذلك العلل، والوظائف النحوية لتعدد أفهام النحاة منها، وتعددت الوظائف لتعدد أوجه القراءات فيكون وراء كل حكم منها معنى يختلف بتعدد الأفهام. (الكيلاني، 2016، صفحة 75) (محمد يوسف، 2015، الصفحات 5-6).

إن التعدد في أوجه الإعراب كذلك له تأثير يبين على المعاني ذات الصلة بالأحكام الفقهية، لهذا فمن الصواب ألا نتوقف عند حدود الوجه الإعرابي، بل لا بد أن يتعدى التخريج النحوي المعنى اللغوي إلى ما يستنبطه الفقيه من أحكام شرعية يبني عليها تخرجاته الشرعية.

لقد بذل النحاة جهدا كبيرا في تفسير تراثهم النحوي واللغوي المكتوب، كما حاولوا تقديم البديل لبعض النصوص التي تكتنفها مواقف الكلام الذي تحيطه ملابسات، ومواقف غير لغوية أخرى مما يكسب التركيب اللغوي دلالة خاصة. أما لغة الخطاب القرآني فهي لغة متميزة لها خصوصياتها، التركيبية والأسلوبية تحتاج إلى كفاءة بيانية لتفسير تلك المواقف، والملابسات ولا يتأتى ذلك إلا ببيان كل الإمكانيات، والتخرجات التي تسهم في فهم النص من أوجه إعرابية متعددة، فالمعاني في الكثير من المواضع، قد تؤدي إلى توجيه الإعراب لوجه يصحّ معه المعنى، ولأهمية تلك العلاقة حاولت الدراسات المتخصصة من إظهار ما لها من أهمية في توجيه النصوص، ولا سيما الجمل القرآنية، فهذه الظاهرة قد تكون مؤشرا إيجابيا لما تومىء إليه العلامة الإعرابية من دلالة بيد أنها في أحيان أخرى تكون نتاجا لضرب من الصنعة والمبالغة في التعسف، ومن شأن هذه الإشارة أن تفتح باب البحث لإعادة استقراء تلك المظاهر النحوية في التراث العربي بطريقة ومنهجية لسانية معاصرة تتناسب وروح العصر.

قائمة المراجع:

- أحمد عبد العظيم عبد السلام الأثر الدلالي والسياقي في تعدد الأوجه الإعرابية، تفسير القرطبي نموذجًا، رسالة ماجستير مخطوط، كلية دار العلوم، مصر.
- أحمد عرابي - البنية الحجاجية في قصة سيدنا موسى، رسالة ماجستير، مخطوط، جامعة وهران، 2009.
- أبو البركات ابن الأنباري البيان في إعراب القرآن، ط3، دار الكتب العلمية، مصر، د.ت
- أبو بكر العزاوي: اللغة والحجاج، ط1، المغرب، 2006
- تحسين كريم الوزان الصوت والمعنى في الدرس اللغوي عند العرب في ضوء علم اللغة الحديث، رسالة دكتوراه، مخطوط، كلية التربية، ابن رشد، بغداد، 2001.
- تعدد التوجيه النحوي مواضعه، أسبابه، نتائجه، ط2، دار غريب، القاهرة، 2006..محمد حسنين صبرة.
- تمام حسان: اللغة العربية معناها ومبناها، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، 1994.
- ابن جني - الخصائص، طح، محمد علي النجار، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1374.
- ابن حيان: البحر المحيط، ط2، دار الكتب، مصر، د.ت
- ابن خالويه: - الحجة في القراءات السبع، طح، عبد العال سالم مكرم، ط2، دار الكتب، مصر، د.ت
- خديجة الحديثي، الإعجاز البياني للقرآن، ط1، دار المعارف، القاهرة، د.ت.
- الخطابي، بيان إعجاز القرآن، طح، محمد خلف الله، ط3، دار الملايين، بيروت، د.ت...

- روابحية -تعدد أوجه الإعراب في مرفوعات الأسماء ومنصوباتها والعلامة واحدة (دراسة تطبيقية في الربع الأول من القرآن)، مقال، مجلة العلوم الإنسانية ، بسكرة، 2007.
- الزجاج -معاني القرآن وإعرابه، ، تح، عبد الجليل عبده شلبي، ط2، عالم الكتب، القاهرة، 1988.
- مصطفى حسين احمد: تفسير الكشاف، تح ، ، ط2، دار الكتاب العربي، القاهرة، مصر، 1987.
- الزمخشري، الكشاف، تح، عادل أحمد عبد الموجود، ط1، مكتبة العبيكان، الرياض 1997.
- سيبويه: الكتاب، تح عبد السلام هارون، ط2، دار القلم ، بيروت، لبنان، د.ت.
- عبد الحلیم بن عیسی - البیان الحجاجی وإعجاز القرآن، سورة الانبياء نموذجاً ، مجلة التراث العربي - اتحاد الكتاب العرب، سوريا.
- عبد الله بهلول - الحجاج الحدلي، خصائصه الفنية وتشكلاته الأجناسية في التراث اليوناني والعربي ، ط1، تونس، د.ت.
- عبد الله صولة الحجاج في القرآن الكريم من خلال أهم خصائص الأسلوبية، ، ط1 دار الفارابي، بيروت، 2001.
- العكبري إملاء ما منبه الرحمن، ط2، دار الملايين ، لبنان، د.ت.
- ابن قتيبة تأويل مشكل القرآن ، شرح السيد أحمد صقر، ط1، دار التراث، مصر، 1973.
- القرطبي ومنهجه في التفسير ، ط1، القصري محمود، دار القلم ، د.ت 2014.
- لطيفة محي الدين مأمون، ابن الأنباري ومنهجه في التفسير ، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1983
- محمد عبد اللطيف حماسة: فتنة النص ، محمد حماسة عبد اللطيف، ط1، دار غريب، القاهرة، 2008..
- المفتي خديجة نحو القراء الكوفيين ، ط1، دار الندوة الجديدة، الكويت، 1985.